السنة الثالثة والثمانون وأربع مئة

فيها تولى تُتُش على حمص وفيها ابن ملاعب، ومع تُتُش آق سنقر وبُزان، وقاتلوه مدةً، وقالوا: أنت نزلت إلى المصريين وخطبتَ لهم، فلمَّا ضايقوه طلب الأمان على نفسه وماله وأهله، فأعطوه، فنزل من القلعة، وتوجَّه إلى مصر، وتسلم تُتُش حمص، ثم أقام بمصر مدة وعاد إلى الشام، فدبَّر الحيلة على حصن فامية وملكه، وقدم أبو عبد الله الطبري بغداد في المُحرَّم ومعه منشور نظام الملك بالتدريس في النظامية، فدرس، ثم وصل عبد الرحمن الشيرازي ومعه منشور آخر، فتقرَّر أن يكون يذكر الدرس هذا يوماً، وهذا يوماً.

وفي ربيع الآخر خلع الخليفة على علي بن طِراد وولَّاه نقابة العباسيين بعد أبيه.

وفيها ظهر بالبصرة رجل مُنجِّم فادَّعى أنه المهدي، وكان من القرامطة، فاحتال حتى أحرق البصرة وهرب، فأتت النار على معظمها، واسمه بلبا، فآل أمرُه إلى أن حُمِل إلى بغداد، وأُشهِر على جمل، وصُلِب في السنة الآتية.

وفيها تُوفِّي

جعفر بن محمد

ابن جعفر بن المكتفي بالله، كان عاقلاً أديباً صالحاً، سمع الحديث، ومات في جمادى الآخرة، ودُفن بباب حرب عن ست وتسعين سنة.

علي بن محمد

القيرواني، كان فقيهاً فاضلاً شاعراً فصيحاً، وهو القائل: [من مجزوء الكامل]

ما في زمانِكَ ماجدٌ ... لو قَدْ تأمَّلْتَ الشَّواهِدْ
فاشهَدْ بصدقِ مقالتي ... أولا فكذِّبني بواحِدْ

محمد بن محمد بن جَهير[1]

أبو نصر، فخر الدولة، الوزير، أصله من الموصل وبها وُلد، وقَدِم ميَّافارقين، وكتب إلى القائم يسأله أن يستوزره، فأجابه، ثم نقم عليه ونفاه إلى الحِلَّة ثم أعاده،

(١) المنتظم ١٦/ ٢٩٠ . وتنظر مصادر الترجمة في السير ١٨/ ٦٠٨ .

ووَزَر للمقتدي فنفاه، ولابنه عميد الدولة، فمضى إلى السلطان، وتحدَّث على بني مروان، وأطمعه في مملكتهم، فأزالها، وفتح ميَّافارقين وآمِد وديار بكر، وخطب له على المنابر بها، وكان يبعث بالأموال إلى ولده عميد الدولة من ميَّافارقين، وعميد الدولة عند السلطان.

وكان مما أنفذ له مائدة بِلَّور، دورها خمسة أشبار، وقوائمها منها، وزبادي، وأقداح بِلَّور ليس لها قيمة، وبعث إليه خُفًّا من ذهب فيه السُّبحة التي كانت لنصير الدولة، وكانت مئةً وأربعين حبة لؤلؤ، وزنُ كلِّ حبة مثقالٌ وزيادة، وفي وسطها الحبل الياقوت، وقطع بلخش قيمة الجميع ثلاث مئة ألف دينار.

واستولى ابنُ جَهير على أموال ديار بكر، وأخذ من أبي سالم الطبيب ألفي ألف دينار سوى الجواهر واليواقيت، ولمَّا بلغ السلطان هذا استدعاه إلى بابه، فهمَّ بالعصيان، ثم فكَّر، فعلم أنه لا يقدر على ذلك وابنُه عند السلطان، فجاء إليه وقد عاد من حلب وولى السلطانُ ديارَ بكر للعميد قوام الدين أبي علي البلخي، فسار إليها، وكان فقيهاً عفيفاً، فكان يجلس للدرس من بكرة إلى قريب الظهر، ثم يمضي إلى الديوان فيقضي أشغال الناس إلى العصر، وأظهر العدل والإحسان.

وسمع ليلةً صوت ناقوس بدير عباد على الجبل، فقال: أيُضرب الناقوس في بلاد المسلمين؟ فأخرب الديرَ، وبناه مسجداً، ووقف عليه الوقوف، وأقام حاكماً، حتى تعصَّب عليه نظام الملك وعزله وولَّى عميدَ الدولة، وقد ذكرناه، وذكرنا قصد صاحب ميَّافارقين بابَ السلطان، وأنه لم يلتفت عليه لخِسَّة نفسه، فلمَّا فُتحت بلادُه قال السلطان: قولوا له: أيش يريد؟. فجاءه الرسول فقال: أيش تريد حتى يُعوِّضك السلطان؟ فقال: نريد حربةً تقع في صدره تخرج من ظهره. فقيل للسلطان: قد طلب حربى قريةً ببغداد ارتفاعها ثلاثون ألف دينار، فأقطعه إياها، فأقام بها حتى مات ملك شاه.

وكان أبو سالم الطبيب قد حبس الوزير أبا طاهر بن الأنباري بميَّافارقين، فأطلقه ابنُ جَهير، وبعث به إلى حصن كيفا وبها خادمٌ يقال له: ياقوت، وناظرٌ يقال له: أبو الحسن علي بن الأزرق، فقيل لفخر الدولة: إن ابن الأنباري قد عرف أموال بني

مروان وذخائرهم، فإن أطلقتَه ربما مضى إلى السلطان وأخبره بما وصل إليك. فبعث إلى ياقوت الخادم وابن الأزرق يأمرهما بقتله، فقال ابن الأزرق للخادم: هذا رجل كبير القدر، وربما عزل ابنَ جَهير من البلاد فلا تقتُلْه. قال: وكيف أعمل؟ قال: أظهِرْ موته وأخْفِه. فقال الخادم لابن الأنباري: تمارَضْ أياماً. ففعل وعاده الناس والأطباء، ثم أظهر موته، وأخرج جنازةً وصلَّى عليها الناس، وكتب إلى ابن جَهير بذلك، وأثبت موتَه على القاضي، ثم ظهر ابنُ الأنباري بعد مفارقة ابن جَهير البلاد، ولم يأخذ أحد من الوزراء من الأموال والجواهر ما رأى ابن جَهير من بلاد بني مروان، ولم تزل الأقدار تتقلب به حتى عاد إلى الموصل فمات بها.

وكان قد سأل السلطان لمَّا رأى تغيُّره عليه أن يأذن له في المقام بالموصل، فأذِن له، فمرض في رجب، وتُوفِّي، فحمل أمراءُ بني عقيل جنازته إلى تلِّ توبة شرقي الموصل، فدُفِنَ به.

السنة الرابعة والثمانون وأربع مئة

فيها في صفر كتب الوزير أبو شجاع إلى الخليفة يُعرِّفه باستطالة أهل الذمة على المسلمين، وأنَّ الواجبَ تمييزُهم عنهم، فأمره الخليفة أن يفعل ما يراه، فألزمهم لبس الغيار والزنانير، وتعليق الدراهم الرصاص في أعناقهم، مكتوب على الدراهم: ذمِّي، وتُجعل هذه الدراهم في حلوق نسائهم في الحمامات ليُعرَفْنَ بها، وأن يلبسنَ الخفاف فردةً سوداءَ وفردةً حمراء، وخلخالاً في أرجلهن، فذلُّوا وانقمعوا، وأَسْلَمَ حينئذٍ أبو سعد بن الموصلايا كاتبُ الإنشاء للخليفة، وابنُ أخيه أبو نصر هبةُ الله، وسأل أن يكون ذلك بحضرة الخليفة، فأُجيب إلى ذلك.

وفي جمادى الأولى قدم أبو حامد الطوسي الغزالي بغداد مدرساً بالنظامية ومعه توقيع نظام الملك[1].

(١) هذان الخبران في المنتظم ١٦/ ٢٩٢.